**التداولية والبلاغة الجديدة**

لقد وضع مجموعة من اللسانيين قواعد لسانية تداولية للحجاج؛ ومن أبرز هؤلاء اللسانيين **أزوالد** **ديكرو Oswald Ducrot،**الذي نظر إلى فعل الحِجَاج على أنه: «فعل محدد بواسطة البنية اللسانية للملفوظات، وضمن العملية الحجاجية يكون استغلال محتمل لبنية دون أخرى، أو لصيغة أسلوبية دون أخرى».ينطلق ديكرو من المحدد اللساني في توصيف الحجاج ثم التنوع في استخدام البنيات اللسانية ؛ذلك أن العملية الحجاجية تقتضي استغلال صيغة أسلوبية دون أخرى، وهذه إشارة غير معلنة عن دور السياق في توجيه البنى الأسلوبية.

وحسب **ديكرو** يكون فعل الحِجَاج فعلا توجيهيا؛ حيث: «يفرض على المُخَاطَب نمطاً معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. والقيمة الحجاجية لقول ما، هي نوع من الإلزام تعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره»**[[1]](#footnote-1)**.فهذه عناية لأنماط الحوار الجدلية القائمة بين المرسل والمرسل إليه،وظيفة فالفعل التوجيهي يقوم على توجيه الحوار وفق نمط معين، لينتج قيمة حجاجية هي حصيلة الإلزام بالطريقة التي يجب أن يكون عليها الخطاب، كبنية لغوية تنمو وتستمر وفق ما تحققه من قيم دالة.

وهنا يميز **ديكرو** بين وظيفتين من وظائف اللغة وهما **الوظيفة الحجاجية** **والوظيفة الإخبارية**، حيث يرى أن الوظيفة الإخبارية: «هي وظيفة ثانوية بالنسبة للوظيفة الحجاجية. فادِّعاء وصف الحقيقة لن يكون إذاً إلَّا تزويراً هذا الادعاء لا يكون أكثر من ملامستنا لما هو جوهري وذلك لإحداث الضغط على تصورات الآخر[...] تتغير طبيعتها، عند استعمالنا لها بشكل مباشر داخل بنية مركبة، مما يجعل كينونتها تتغير سيميائيًّا».

وهكذا فالتواصل أساسه الحجاج وليس الإخبار،فكل دعوى بوصف الحقيقة دعوى مزورة تستند على تصور خاص وتحاول إحداث ضغط على تصور الآخر، والبناء اللغوي للخطاب هو الذي يضبط توجهات المتواصلين الحجاجية ألا ، فاللغة بوصفها سلوكا تواصليا ولثراء أبنيتها في اعتقاد ديكرو هي التي تمد الدرس الحجاجي بمادة الدراسة ، ذلك إن «ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي وإنما هو ترابط حجاجي؛ لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحِجَاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسيًّا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله وجهة حجاجية ما». وهكذا نجد ديكرو يؤمن بأن لكل الملفوظات قوة حجاجية ، فالحجاج ليس قوة خارجية تكتسبها اللغة بل هو قوة داخلية كامنة في اللغة يوظفها مستعملوها، وهذا ما أطلق عليه ديكرو «الحجاج في اللغة».

إن ترابط الأقوال ترابط حجاجي وموضوع الحِجَاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية، فالوظيفة الحجاجية قائمة على البحث في ترابط الأقوال والقوة الحجاجية، وعليه فالحجاج وظيفة من أهم وظائف اللغة، يتقاطع مع وظيفة التواصل باعتبارها من وظائفها كذلك ، ومن ثمة فالحجاج هو التواصل الفعال والناجع، باعتباره يستطيع أن يحدث في الأطراف المتحاججة ضربا من التغيير. وعلى هذا « فإن التوجيه هو الذي يشرع البحث في الترابطات الحجاجية الممكنة، لأن مسوغاتها موجودة في البنية اللغوية للأقوال وليست رهينة المحتوى الخبري للقول، ولا رهينة لأي بنية استدلالية صناعية من خارج نظام اللغة [...] لذلك فإن التداولية المدمجة تبحث في القوانين التي تحكم الخطاب داخليًّا لاكتشاف منطق اللغة».

إن التداولية المدمجة تسعى لاكتشاف منطق اللغة من خلال قوانين الخطاب ،وهذا أكثر ما يميز أعمال **أوزوالد ديكرو وجون كلود أنسكومبر**، فهما يرفضان: «التصور القائم على الفصل بين الدلالة وموضوعها معنى الجملة، والتداولية وموضوعها استعمال الجملة في المقام، من جهة والسعي إلى سبر كل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال التداولي المحتمل من جهة أخرى. فيكون مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن».

وتقدم لنا أعمال أزوالد ديكرو -وجون كلود أوسكومبر اتجاها جديدا في الدراسات اللسانيات التداولية الحديثة، فالفضل يعود إليها في رفض التصور القائم على فصل الدلالة التي تبحث في المعنى والتداولية التي تعنى باستعمال اللغة في المقام، فهما يعتقدان أن المسألة كلها منوطة ببنية اللغة، فاللغة هي الحاملة للشق التداولي الذي يكون مدمجا في الدلالة، وبالتالي « يكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية المسجلة في أبنية اللغة ون\توضيح شروط استعمالها الممكن».

1. أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة،مجلة فكر ونقد، العدد61.ص:2. [↑](#footnote-ref-1)